الفصحى رباط وحدة الأمة، وأداة ارتقاء العلم والحياة

للأستاذ محمد بهجة الأثرى

أحببتُها حُبَّ نفسي ، والهوى غَرِدُ ... وحُبُّهَا الرَّوْحُ والرَّيْحان والرَّغَـدُ[1]

وَضِيئَةٌ . شاقَ زَهْوَ الوردِ زَاهِرُها ، ... والوَرْدُ أَنْفَسُ ما يشتاقُهُ الخَـلَدُ[2]

رفيعةُ القَدْرِ . أُختُ الشَّمسِ ، عاليةٌ ... يُرَىٰ لها فوقَ عَرْشِ الشَّمسِ مُقْتَعَدُ

نافت سَنًا وسَناءً باذِخاً ، وزَهَت ... فى مُطْرَف الحُسْنِ ، فَهْيَ الجوهرالفَرِدُ[3]

نافت ، وفى فَلَكِ العلياء قد بَلَغَتْ ... من الإنافةِ ما يقتاسُهُ الرَّصَـدُ[4]

لا يُبْصِرُ الطَّرْفُ منها فى سَماوَتِها ... إلَّا اللآلِئُ فى آفاقِهـا تَقِـدُ

يُضاحِكُ العينَ من أقطارِها أَلَقٌ ... من حيثُ يلحَظُها الراؤُونَ إنْ رَصَدُوا

ويُدْرِكُ القَمَرَيْنِ الخَسْفُ من سَقَمٍ ، ... ونُورُهـا دائمُ الإشراقِ مُتَّقِـدُ

إلى البصائرِ كالأبصارِ ، مُشْرَعَةٌ ... لها النَّوافِـذُ والأَبوابُ والسُّدَدُ

يغـدو إليها ويجلو من غِشاوتِها ... إذَا تَعاوَرَهـا العُـوَّارُ والرَّمَـدُ[5]

سَرِيَّةٌ . وكفاهـا أنَّهَـا هَبَطَتْ ... وَحْياً ، لَهُ تخشَعُ الأَرواحُ والجُمُدُ[6]

(*) ألقيت فى الجلسة الثانية عشرة يوم السبت ٥ / ٣ / ١٩٨٨ م .

(١) الروح ، بفتح الراء : الراحة ، والرحمة ، ونسيم الريح .

(٢) الخلد : النفس .

(٣) السنا (بالقصر) : الضوء – والسناء (بالمد) : الرفعة نافت : علت – المطرف : رداء من خز .

(٤) الإنافة : الارتفاع والإشراف .

(٥) العوار : كل ما أعل العين .

(٦) سرية : شريفة – الجمد : ما ارتفع من الأرض .

عريقةُ المُوَلِّـدِ الميمونِ : أوّلُهـا ... مع «الخليقة» و «الأُخْرَىٰ» لها الأَبَدُ
كريمةُ النَّبْعِ .. حَلْبُ الضَّرْع رَيِّقُها . ... وطاهـرُ المُزْنِ صافِيها أَوِ البَرَدُ(١)
مع الجديدين ماكرّا وما اختلفـا ... جـديدةٌ ، تَلِدُ الأَحياءَ إِذْ تَلِدُ(٢)
من كلِّ زهراءَ ، فيها الحُسْنُ مُتَّقِدٌ ، ... والحسُّ محتشِدٌ ، والرُّوحُ مُرْتَئِـدُ(٣)
إذا سألْتَ عن الإبريز ، فاَغْدُلها ... يَفِضْ لكفيك منه كنزُهُ اللُّبَـدُ(٤)
ثَراوُها كالثَّرَى .. صِنْوانِ إِنْ ذُكِرا ... وَفْرًا ، ويُعجزُكَ الإِحْصاءُ والعَـدَدُ(٥)

* * *

غَنّى الأَوالِى ، وغَنَّى الآخِرون بهـا ... مُسْتَعْذِبِين كما يُسْتَعْذَبُ الشُّـهُدُ(٦)
لَذُّوا حـلاوةَ ما اسْتَحْلَوْا مَذاقَتَهُ ... منها ، وأَغْرَتْهُمُ اللَّذاتُ فاحتفـدوا(٧)
تَرِنُّ فِى لَهَواتِ الصَّـادِحِينَ بهـا ... كأَنَّهَا زَجَلٌ جاشـت بِهِ كَبِـدُ
جَرْسٌ من النّغم العُلْوِىِّ ، شاهِدُهُ ... هٰذَا البيانُ الَّذِى تُوحِى ويَنْعقِدُ
إِخشَعْ مَلِيًّا له إِذْ أَنْتَ تسمَعُـهُ ... مـن التِّـلاوَةِ والآيـاتُ تَطَّـرِدُ
واسْمَعْهُ فِى نَغَم الأَشعارِ تُوقِعُـهُ ... كأَنَّهُ لَقَطـاتُ الرَّقْصِ أَو غَـرَدُ
وامْسِك ذَماءَكَ أَنْ يُودى الهُيامُ به ... من حيثُ يُسكِرُك الإِرنانُ إِذْ تَجِـدُ(٨)
أَىّ اللغـات لها معسولُ غُنَّتِها ، ... أو رقصُ إيقاعها ، أَو رِكزُها الفَرِدُ ؟

* * *

---

(١) ريق كل شيء : أفضله ، وريق الشباب : أوله .
(٢) الجديدان : الليل والنهار – اختلفا : ترددا .
(٣) ارتأد : اهتز نعمة .
(٤) الإبريز : ذهب إبريز خالص – اللبد : الكثير .
(٥) الصنو : الشقيق .
(٦) الأوالى : الأوائل .
(٧) احتفدوا : خفوا وأسرعوا فى العمل .
(٨) الذماء : بقية النفس ، أو قوة القلب – تجد : تحب .

يا دِينَ قَلْبِيَ منها! والهوىٰ قَـدَرٌ ، وخافـقى ببهاء الحُسْنِ مُتَّحِـدُ ![1]
لَجّ الهوى بفؤادى لا هُـدُوءَ لـه ، يا بَرْدَهُ ، وهو يَشْوِينى وَيفْتَئِدُ ![2]
إنّى خَشَعتُ لصوت الله ، ثُمّ لهـا ومنه كَوْثَرُهـا واللُّطْفُ والغَيَدُ[3]
هام الفؤَاد بهـا حُبًّا ، ولا عَجَبٌ هِيَ الحياةُ ، ولى من وصلها صَفَدُ[4]
من دَرِّهـا لىَ إرْواءٌ إذَا ظمئـت رُوحِى ، ومن دَرِّها المَنْثُورِ لِى مَدَرُ
ايلاىَ .. عُمرى وعيشى فى صَبابَتِها ، وسِحرُها هُوَ فى قلبى الَّذِى أَجِـدُ
نَدِيمَتى ، والهـوى ما بَيْنَنَا رَحِمٌ ، يُناسِمُ الرُّوحَ مِن أنفاسها رَشَـدُ
وسِرُّنـا هو سِرُّ اللهِ .. آلَفَنـا على الحُنُـوِّ ، نُناغِيـهِ فَنَرْتَئِـدُ[5]
أَظَـلُّ عُمْرِىَ موصولًا بمهجتهـا ولن أُفارِقَهـا أو يَهْلِكَ الجَسَـدُ ![6]
فيحاءُ ، كـ (الخُلْدِ) فى نَعْمائها ، وأنا (رِضوانُ) حافِظُها المُسْتَأْمَنُ النَّجِدُ[7]
أَذُود عن كَرْمِها الطُّرّاقَ مَحْمِيَةً ، ومِذْوَدِى الصّارِم القِرْضاب مُنْجَرد
النَّاشِزِين ذَوِى العاهات مَنْ نَغِلُوا ضِغْناً على (العرب) لم يصْفَأْله وَقَد[8]
لا ينفَع البُطْلَ إزْراء ولا لَـدَدٌ نعم ، وقـد خَسَأَ الإزْراءُ واللَّدَدُ[9]

* * *

أَقـولُ للحاقـدِ المـأْفونِ مَنْزَعَهُ ، وللدَّعِىّ الَّذِى أَقلامُهُ قِصَـدُ ،[10]
الكارِهِ الحُسْنَ فى (الفصحى) وَدَوْلَتِها وَجَهْدُهُ لخبيث القَصْد محتشِـدُ :

---

(١) يا دين قلبى منها : معناه يا داء قلبى القديم من حبها .
(٢) يفتئد : يشوى فى النار .
(٣) الغيد : لين الأعطاف .
(٤) الصفد : العطاء .
(٥) نرتئد : نهتز نعمة .
(٦) أو يهلك : إلى أن يهلك .
(٧) النجد : الشجاع الماضى فيما يعجز غيره .
(٨) نغل : ضغن ، أى حقد — الوقد ، بفتحتين : النار واتقادها .
(٩) أزرى به إزراء : أدخل عليه عيباً أو أمراً يريد أن يتلبس عليه به — اللدد : الخصومة .
(١٠) قصد : قطع متكسرة .

إقْنِ الحيـاءَ إذا ما كنت مالِكَهُ ، ... ومُتْ بغَيْظِك ، ولْيَذْهَبْ بك الحَرَدُ[1]

مَرْماك منتضح الغايات منكشفٌ ... نعم ، ومنكسفٌ خَزْيانُ منفردُ

مُلْـقٍ بك مخـذولًا إلى إرَة ... يَحُفُّك الأَسْوَآنِ : اللعنُ واللَّـكَدُ[2]

ما أنتَ فى هائجِ الأَمواجِ مُصْطَخِبٍ ؟ ... وما قَـذاةٌ تَحَـدّاهُ وتَتَّعِـدُ ؟[3]

الأُمَّـةُ الوَسَطُ الشَّمّاءُ جائشـةٌ ، ... والرَّكْبُ منطلقٌ ، والحَدْوُ مُتَّحِـدُ

هَوَىٰ (العروبة) فى توحيدِ دولتِها ، ... و (دولة اللغةِ الفصحى) هِيَ السَّنَدُ

هِيَ الرِّباطُ ، و (وَحْى اللهِ) يُوثِقُهَا ... والعقـل والعلم والإيمانُ والرَّشَـدُ

لسـان أَرفعِ (تنزيلٍ) وأكمـلِهِ ... شادَ الحضارةَ ، واستذْرَى به الخَلَدُ[4]

رَفَّتْ على قُنَن الأَطـوادِ رَايتُـهُ ، ... واستمجد السَّهْلُ من علياهُ والجَلَدُ[5]

ودَوّتِ (الآى) فى أَرجاءِ دولتِـهِ ... مُرَجّعـاتٌ لهـا الآفاقُ والصُّعُـدُ[6]

تَهُزُّ أَشـبَاحَ نُـوّامٍ فتوقِظُهـا ... وتبعث السَّاكنَ الخاوى فيحتشـدُ[7]

فطأْطأَتْ سُجّدًا هاماتُ مَنْ فقهوا ... وهادَ مَنْ طأْطَؤُوا عُجباً ومَنْ سَجَدوا[8]

دانُوا لها خُشَّعاً ، حاسينَ مِن يدها ... ما يعصرِ الوردُ ، لا ما يَقْذِفُ الزَّبَدُ

يا مِنَّةَ (الضَّاد) ، ما أَسْنَى فَواضِلَها ! ... وكم أَفاءَت على الدُّنْيا ! وكم تَعِد !

* * *

حبيبة (الضَّادِ) فى الدُّنيا! وهل أَحدٌ ... لم يَدْرِ مَنْ هِى تهواه وتقتفِد ؟

(كِنانةُ الله) .. فيها أُمّة (عَرَبٌ) ... ثُمَّ الأُلُوف أُباةٌ سـادةٌ نُجُـد[9]

---

(١) اقن الحياء : إلزمه – الحرد : الغضب .

(٢) اللكد : الضرب والدفع .

(٣) تتعد : تتوعد وتهدد .

(٤) استذرى به : التجأ إليه وصار فى كنفه .

(٥) الجلد : الأرض الصلبة المستوية المتن .

(٦) الصعد : جمع الصعيد .

(٧) يحتشد : يجتمع لأمر واحد .

(٨) هاد : رجع إلى الحق .

(٩) نجد : شجعان .

هنا..هنا حيث جَرْس (الضَّادِ) مُنْتَبِرٌ تَحْفَى به السَّادة الأَحرارُ والمجُـدُ[1]

حيثُ الْقِنَى والقَنا والجُرْدُ ضامرةً ، والسَّيْفُ والعِزُّ ، والعلياءُ والصّـيَدُ[2]

حيثَ العَرانينُ والأَحسابُ فى دَمِهِمْ مَـلاحِمٌ وَبُطُـولاتٌ ومُعْتَضَـدُ

الحافظونَ حقوق (الضَّادِ) وَهْىَ دَمٌ زاكٍ ، ومُنْتَسَبٌ حُرٌّ ، ومُعْتَقَدُ

خيرُ الوَدائِعِ فِى الأَعناق ، يحفظُهَا خيرُ البنين ، وصدقُ الحُبِّ ، والعُدَدُ

* * *

أَ (مَجْمَعَ الضَّادِ)! إِنَّ (الضَّاد) جامعة و (الْعُربِ) ظِئْرٌ لبانى ظِئْرِهـا ويَدُ[3]

و (الضَّاد) حرف كريم ، نحن صورتُهُ ونحنُ معناه والأَرحامُ والبَـلدُ

شَيِّدْ عُلَاهُ ، وواكِبْ أُمَّةً نهضت إِنَّ الأَصِيلَ إلى علیائه يَفِـدُ

لا أَستجيشك .. قد عالَيْتَ مُطَّلَعاً جَهْـدًا ، وصاحَبَكَ الإِبداعُ والسَّدَد[4]

خمسون .. قد حَفَلَتْ من كلِّ مُثْمِرةٍ بالطَّيِّباتِ ، فطابَ الزَّادُ والزُّبَـدُ

يا مالئاً هٰـذه الدُّنيـا وشاغِلَهـا سارت بآثارك الرُّكبـانُ والبُرُدُ

تُوَحِّدُ السُّبْلَ (للتوحيد) لا بَدَدٌ يَظَلُّ فيها ، ولا زَيْغٌ ، ولا أَوَدُ[5]

* * *

يانُعْمَ عينىَ لو أَحيـا إلى أَمَـدٍ يُرِينىَ (الوحدة الكبرىٰ) وما تَلِدُ

فأَشْهَدَ (العَلَمَ الخفَّاق) مُزْدَهِياً يُعانِقُ الأُفْقَ مِنْهُ مَشْهَدٌ وَحَـدُ

---

(١) المجد : الماجدون .

(٢) القنى : جمع القنية ، وهى ما يكتسب – القنا : الرماح ، والمراد القوة – الصيد : الكبر .

(٣) الظئر (الأولى) : المرضعة ، والظئر (الثانية) : الركن والدعامة .

(٤) السدد : الصواب ، كالسداد .

(٥) البدد : المتفرق – الزيغ : الانحراف – الأود : العوج .

وأُبْصِرَ (الشَّمْلَ) والعلياءُ تحضُنُهُ و (عِزَّهُ) وَهْوَ مرهوب السُّطا صَعَدُ[1]
و(الأَرضَ)قدعمرت، و(السِّنَّ)قدضحِكت و(الخَيْرَ) قدفاضَ و(الأَملاءَ) قد سعدوا[2]

يا يومَ الحاضِرَ الماضى ! أَلا عِدَةٌ
بطَيّبٍ ؟ إنَّ عِيدى أن يَطِيبَ غَدُ

محمد بهجة الأثرى
عضو المجمع من العراق

---

(١) صعد ، بفتحتين : شديد .
(٢) الأملاء : الجماعات .